# شَرحُ حَدِيثِ
# ((إِنَّ أَغبَطَ أَولِيَائِي عِندِي لَمُؤمِنٌ خَفِيفُ ٱلحَاذِ))

دار اللباب

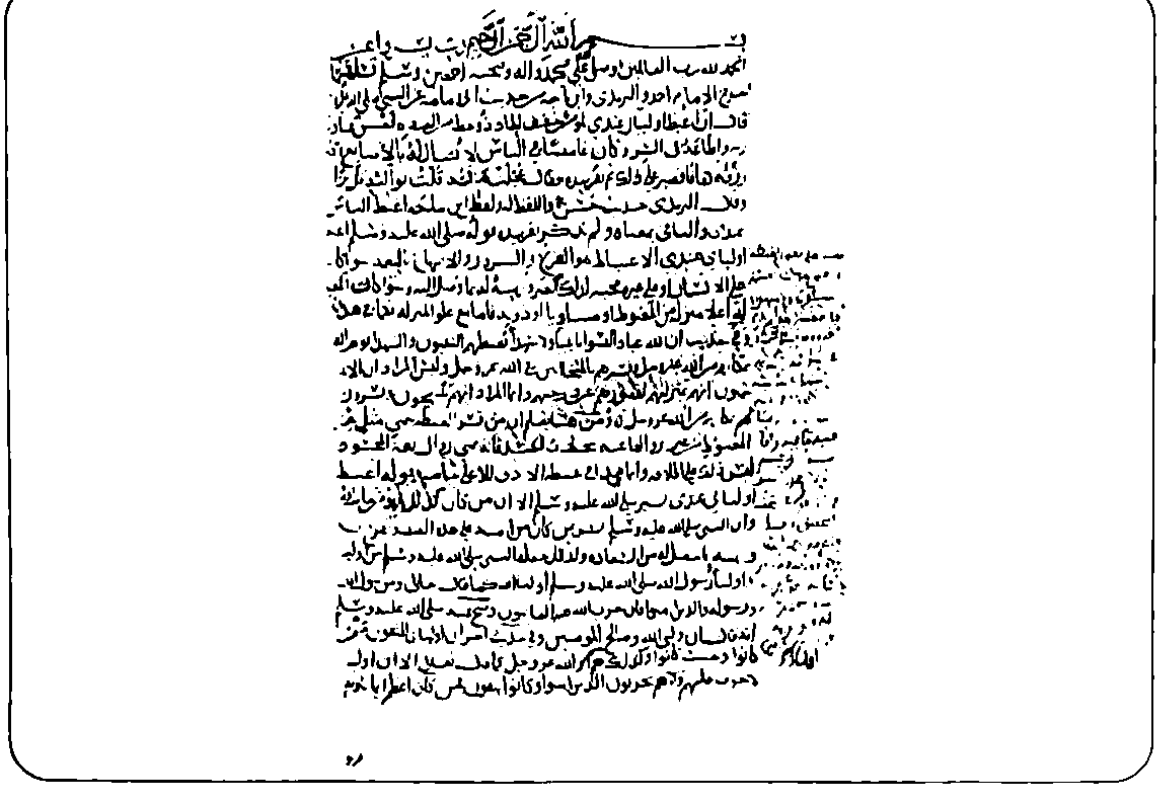

دار الكتب الوطنية بتونس (ت)

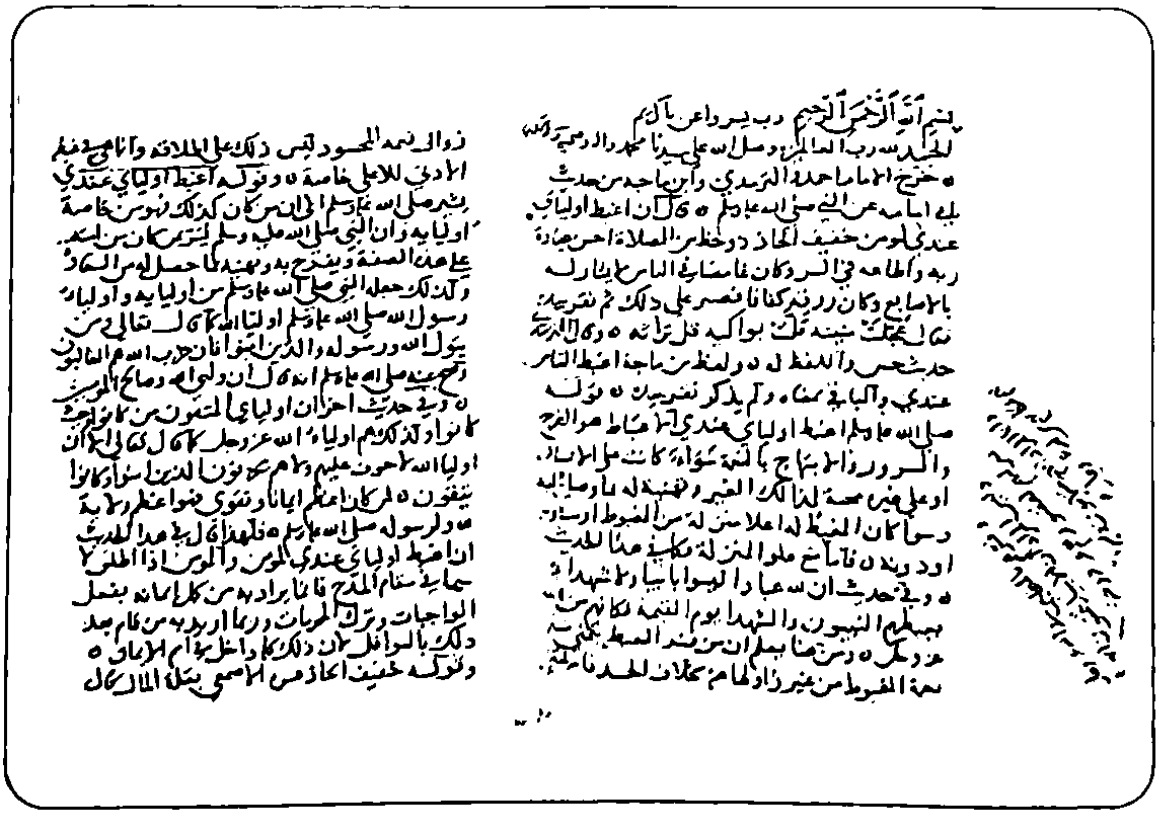

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)

# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي شرح قلوب أوليائه للانقطاع إليه، ودلهم بآياته وآلائه عليه، فانصرفوا عن علائق الخلائق، وأقبلوا على معادن الحقائق، وقنعوا من الدنيا بالقليل، وأيقنوا منها بالرحيل، فكان لهم الغبطة والابتهاج بالأجر الجزيل.

والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وهاديهم، السراج المنير سيدنا محمد البشير النذير، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن قلة العلائق والعوائق من مشاغل الدنيا وملهياتها، معينة على الانقطاع إلى خالق البريات، واستنفاد الأوقات بالقربات والطاعات، بعيداً عن هموم الحياة من طلب الأموال والحرص عليها وصيانتها والقيام بها، ومن كثرة الأهل والعيال وتحمل مسؤولياتهم.

وهذا ما عبَّر عنه هذا الحديث الشريف الذي نحن بين يديه «مؤمن خفيف الحاذ»، وذلك من باب الاستعارة والكناية عن قلة المسؤوليات والتبعات التي تمنع الإنسان من الانصراف إلى عمارة آخرته.

فإذا اغتنم من كان حاله كذلك أوقاته، فكان له حظ من الصلاة وإحسان العبادة، بعيداً عن مراءاة الناس، ونظرهم والنظر إليهم، وصبر على ذلك، وأتته منيته، فسارع

إلى لقاء ربه غير تارك وراءه ميراثاً يختصم فيه الورثة، أو ذكراً يلهج به الناس بعده، كان في محل الغبطة والتهنئة على تلك الحال.

وقد شرح الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى هذا الحديث بأسلوبه المشوّق، مكثراً من سرد القصص والحكايات التي تثبِّت الأفئدة، وتشرح الصدور، وفيها جلاء القلوب من أحوال الصالحين الذين هدى الله.

والحكايات جند من جنود الله يثبِّت الله بها قلوب أوليائه.

***

**ذكر هذا الكتاب للمصنف:** ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠) بالاسم الذي أثبتناه، وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٧٦).

وقد اعتمدتُ في إخراجه على نسختين خطيتين:

**١ـ النسخة التونسية، ورمزها (ت).**

وهي الرسالة السادسة عشرة من المجموع (١٥٧) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وتقع في (٨) لوحات (من ١٥١/ ب إلى ١٥٨/ ب)، وهي مقابلة وعليها تصحيحات وبعض تعليقات، وإثبات مطالب في الحواشي.

لم يذكر اسم الناسخ، ويرجع تاريخ نسخ المجموع إلى ٨٥٢.

**٢ـ نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).**

وهي الرسالة الخامسة عشرة من المجموع (٥٣١٨)، وقد سبق وصفه في المقدمات وتقع في (١٤) لوحة (من ١٩٩/ أ إلى ٢١٢/ أ).

ويوجد للكتاب مختصران مخطوطان:

وقفت على الأول في أحد المجاميع في اصطنبول، وهو في لوحتين. انتقاه مختصراً محمد بن النصيف الحنفي سنة ٨٩٣هـ، ولم أقف على ترجمته، لكنه عالم فاضل كما يبدو من مجموعه.

والثاني: «أمور حسنة منتخبة من شرح حديث: إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ» وهو في المكتبة المركزية بالرياض (٤٢٤).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

* * *

# بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

## ربِّ يسِّر وأعِن يا كريمُ[1]

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا[2] محمَّدٍ وآلِه وصَحبِه أجمعينَ[3] وسلَّمَ تسليماً.

خرَّجَ الإمامُ أحمدُ، والتِّرمذيُّ، وابنُ ماجَه مِن حديثِ أبي أمامةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ أغبطَ أوليائي عِندي لَمُؤمنٌ خفيفُ الحاذِ، ذو حظٍّ مِن الصَّلاةِ، أحسنَ عبادةَ ربِّهِ، وأطاعَه في السِّرِّ، وكان غامِضاً في النَّاسِ لا يُشارُ له بالأصابعِ، وكان رزقُه كَفافاً فصبرَ على ذلك**». ثمَّ نقرَ بيَدِه فقال: «**عُجِّلَتْ منيَّتُه، قلَّتْ بَواكيهِ، قلَّ تُراثُه**». وقالَ التِّرمذيُّ: حديثٌ حسَنٌ. واللَّفظُ له[4].

ولفظُ ابنِ ماجَه: «أغبطُ النَّاسِ عندي»، والباقي بمَعناه، ولم يَذكُر: نقرَ بيدِه.

---

(١) «يا كريم»: من (ف).

(٢) «سيدنا» من (ف).

(٣) «أجمعين» من (ت).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧). وهو عند الإمام أحمد (٢٢١٦٧)، (٢٢١٩٧)، (٢٢١٩٨)، وابن ماجه (٤١١٧). وأخرجه الحاكم (٤/ ١٢٣)، وقال: «هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم، ولم يخرجاه»، قال الذهبي: «لا بل إلى الضعف ما هو». ولم يتطرق المصنف رحمه الله مع حفظه وإمامته إلى الخوض في حال الحديث، وكأنه اكتفى بتحسين الترمذي، فقد روي عن أبي أمامة رضي الله عنه من طرق كلها ضعيفة فلعله رآها تنهض بالحديث، والله أعلم.

قولُه ﷺ: «أغبَطَ أوليائي عِندي»:

الاغتباطُ هو: الفرحُ والسُّرورُ، والابتهاجُ بالنِّعمةِ، سواءٌ كانت على الإنسانِ أو على غيرِه محبَّةً لذلك الغيرِ، وتهنئةً له بما وصلَ إليه، وسواءٌ كان المغبطُ له أعلى منزلةً مِن المغبوطِ أو مُساوياً أو دونَه.

فأمَّا مع علوِّ المنزلةِ فكما في هذا الحديثِ، وفي حديثِ: «إنَّ للهِ عباداً ليسوا بأنبياءَ ولا شُهَداءَ يغبِطُهم النَّبيُّونَ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ بمكانهم مِن اللهِ عزَّ وجلَّ»[1]، وفسَّرَهم بالمتحابِّينَ في اللهِ عزَّ وجلَّ، وليس المرادُ أنَّ الأنبياءَ يتمَنَّوْنَ أنَّهم بمَنزِلَتِهم لقُصورِهم عن درجتهم، وإنَّما المرادُ أنَّهم يَبتهِجُونَ ويُسَرُّونَ بما لَهم بمكانِهم مِن اللهِ عزَّ وجلَّ.

ومِن هنا يُعلَمُ أنَّ مَن فسَّرَ الغِبطةَ بتمنِّي مثلِ نعمةِ المغبوطِ مِن غيرِ زوالها عنه بخلافِ الحسَدِ فإنَّه تمنِّي زَوالِ نعمةِ المحسودِ ليس ذلك على إطلاقِه، وإنَّما هي[2] في غبطةِ الأدنى للأعلى خاصَّةً.

---

(١) روي هذا المعنى من حديث عدد من الصحابة رضي الله عنهم: منها حديث عمر بن الخطاب، أخرجه أبو داود (بعد ٣٥٢١) وهو من رواية ابن داسة، ومنها حديث معاذ، أخرجه الترمذي (٢٣٩٠)، وقال: «حسن صحيح».

وجاء في حاشية (ت): «قف على معنى الغبطة، ومعنى حديث: «يغبطهم النبيون والشهداء» فإنه حسن جداً، لم أره لغيره، وقد فسره ابن عباد في «رسائله الكبرى»، والشهاب بحاشية «البيضاوي» في تفسير سورة يونس، وفيه ما فيه، وأما هذا التفسير الذي ذكر هذا السيد فما بعده في التحقيق مرقى، فاعرفه. رحمه الله رحمة واسعة آمين. لكاتبه أحمد بن عبد الله السوسي غفر الله له ولوالديه ولذريته آمين».

وتفسير ابن عباد النفزي الرندي، المتوفى سنة ٧٩٢ رحمه الله، في الرسالة الأولى من رسائله المسماة: «نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل»، (١/ ١٢) دار الكتب العلمية. نقله عن أبي عبد الرحمن السلمي.

وكلام الشهاب في حاشيته على البيضاوي (٥/ ٤٦).

(٢) رسمت في (ت): «هذا»، ثم أصلحت إلى: «هي».

وقولُه: «أغبطَ أولِيائي عندي» يشيرُ ﷺ إلى أنَّ مَن كان كذلك فهو مِن خاصَّةِ أوليائِه، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ يُسَرُّ بمَنْ كان مِن أمَّتِه على هذه الصِّفةِ، ويفرحُ به، ويهنِّئُه بما حصلَ له مِن السَّعادةِ، ولذلك جعلَه النَّبيُّ ﷺ مِن أوليائِه، وأولياءُ رسولِ اللهِ ﷺ أولياءُ اللهِ، كما قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

وصحَّ عنه ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ وليي اللهُ وصالحُ المؤمنينَ»[١].

وفي حديثٍ آخرَ: «إنَّ أوليائي المتَّقُونَ مَن كانوا وحيثُ كانوا»[٢]. وكذلك هم أولياءُ اللهِ عزَّ وجلَّ، كما قالَ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣].

فمَن كان أعظَمَ إيماناً وتقوى فهو أعظمُ ولايةً للهِ ولرسولِه ﷺ، فلهذا قالَ في هذا الحديثِ: «إنَّ أغبط أوليائي عندِي لَمُؤمنٌ»، والمؤمنُ إذا أطلقَ لا سيَّما في مقامِ المدحِ فإنَّما يرادُ به مَن كمَلَ إيمانُه بفعلِ الواجباتِ وتركِ المحرَّماتِ، وربَّما أريدَ به مَن قامَ بعد ذلك بالنَّوافلِ لأنَّ ذلك كلَّه داخلٌ في اسمِ الإيمانِ.

وقولُه: «خفيفُ الحاذِ» فسَّرَه الأصمعيُّ بقِلَّةِ المالِ[٣].

قالَ ابنُ قُتيبةَ: ويُفسَّرُ أيضاً بقلَّةِ العيالِ[٤]، ويشهدُ لهذا قولُ أبي ذرٍّ: ليأتيَنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٥٢) من حديث معاذ رضي الله عنه، ولفظه: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»، وأخرجه ابن حبان (٦٤٧)، والطبراني في «الكبير» ٢٠ (٢٤١).

(٣) «غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (٣/ ١١٨٩).

(٤) لم أجد هذا في «غريب الحديث»، وإنما وجدت فيه (٣/ ٧٦٥) شرحاً لكلام أبي ذر الآتي: «معناه إن الأئمة كانت في صدر الإسلام يرزقون عيالات المسلمين وذراريهم من بيت المال، فكان أبو العشرة مغبوطاً بكثرة ما يصير إليه من أرزاقهم، ثم يقطع السلطان ذلك فيما بعد، فيغبط الرجل بالوحدة، لخفة المؤونة ويُرثى لذي العيال».

عليكم زمانٌ يُغبَطُ الرَّجلُ فيه بخفَّةِ الحاذِ، كما يُغبَطُ اليومَ فيكم أبو عَشرةٍ. خرَّجه أبو نُعَيم وغيرُه[١].

وخرَّجَ ابنُ عديٍّ وغيرُه مِن حديثِ حُذيفةَ مَرفوعاً: «خيرُكم في المائتينَ كلُّ خفيفِ الحاذِ» قالوا: وما خفيفُ الحاذِ؟ قال: «الذي لا أهلَ له ولا ولَدٌ»[٢].

وهو مِن بابِ الاستعارةِ والكِنايةِ، لأنَّ أصلَ الحاذِ هو اللَّحمُ، كما يقالُ: خفيفُ الظَّهرِ.

**فأمَّا قلَّةُ المالِ**: فهو مما[٣] يُغبَطُ به صاحبُه في الدُّنيا إذا صبرَ على ذلك أو رَضِيَ بهِ، وسنذكرُ ذلك في تفسيرِ قولِه: «وكان رزقُه كَفافاً فصبرَ عليه» إن شاءَ اللهُ تعالى.

**وأمَّا قلَّةُ العيالِ**: فهو ممَّا يُغبَطُ به المؤمنُ أحياناً لاسيَّما مع فَقرِه وحاجَتِه، ولهذا يقالُ: قلَّةُ العيالِ أحدُ اليَسارَيْنِ[٤]؛ فإنَّ كثرةَ العيالِ قد يحملُ المؤمنَ على طلبِ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٣)، وأخرجه بطوله ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٠٩)، و«النفقة على العيال» (٤٤١)، والمعافى بن عمران في «الزهد» (٥٠).

(٢) مدار هذا الحديث على أبي عصام روَّاد بن الجراح وقد أنكر عليه، وهو أيضاً قد اختلط.
رواه عنه عباس الترقفي في حديثه (٢) وعن عباس أخرجه: ابن الأعرابي في «معجمه» (١٨٣٠)، وابن المقرئ في «معجمه» (١١٠٦)، وابن عدي في «الكامل» في ترجمة رواد، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٧٧/ ١٤٩) (١٣/ ٧٤) وغيرهم. وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٦٩) من طريق آخر عن روَّاد، قال أبو حاتم في «علل الحديث» (١٨٩٠): حديث باطل، وقال أيضاً: (٢٧٦٥): منكر.
تنبيه: ورد في بعض المصادر بلفظ «لا أهل له ولا مال» وهو تصحيف.

(٣) في (ف): «ما».

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ١٣٦) وابن أبي الدنيا في «النفقة على العيال» (١٠٣) من كلام سعيد بن المسيب رحمه الله. ويروى مرفوعاً بسند ضعيف.

الرِّزقِ لهم مِن الوُجوهِ المكروهةِ، ولهذا وقعَ في كلامِ كثيرٍ مِن السَّلَفِ ذمُّ العِيالِ.

فكانَ سفيانُ الثَّوريُّ يقولُ: لا يُعبَأُ بصاحبِ عيالٍ، فقلَّمَا رأيتُ صاحبَ عِيالٍ إلَّا خلَّطَ[١]، وكان يقولُ: لا أعتَدُّ بعبادةِ رجُلٍ له عِيالٌ[٢].

وقالَ: لو حُدِّثتُ عن ذي العيالِ أنَّه كفَرَ ما أبعَدْتُ[٣].

وقالَ: صاحبُ العيالِ لا يكونُ وَرِعاً أبداً[٤].

وقالَ: مَن تزوَّجَ فقد ركِبَ البحرَ، فإن ولدَ له فقد كُسِرَ به[٥] المركبُ[٦].

وقالَ: كانت لنا هِرَّةٌ لا تُؤذينا فلمَّا ولدَتْ كشفَتِ القُدورَ[٧].

وعاتبَ سُفيانُ رجُلاً مِن كُتَّابِ الأمَراءِ على كتابتِه معهم[٨]، وقالَ له سفيانُ: كلَّمَا دُعِيَ بأميرٍ ممَّنْ كتبتَ له دُعِيتَ أنت معَه، فسُئِلْتَ عمَّا جرى على يدِكَ، فأنتَ أسوَؤُهم حالاً، فقالَ له الرَّجلُ: فكيفَ أصنعُ بعِيالي؟ فقالَ سفيانُ: اسمَعوا هذا!

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٨١)، والبيهقي في «الزهد» (٤٤٠)، وفي «شعب الإيمان» (٩٣١٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٨٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٩).

(٤) نسبه الثعالبي في «اللطائف والظرائف» (ص: ١٧٤) إلى سفيان بن عيينة، وفي «الزهد» للبيهقي (٤٤٠)، من كلام سفيان الثوري: صاحب العيال لا يكون رجلاً صالحاً.

(٥) «به» سقطت من (ف).

(٦) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٣٦٦)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٦٦).

(٧) أخرجه البيهقي في «الزهد» (٤٤١) لكن عن سفيان بن عيينة.

(٨) في حاشية (ت): «قف على كُتَّاب الأمراء وما عليهم».

يقولُ: إذا عصى اللهَ رَزَقَ عِيالَه، وإذا أطاعَ اللهَ ضيَّعَ عيالَه! ثمَّ قالَ سفيانُ: لا تَعْتدُّوا بصاحبِ عِيالٍ، فما كان عذرُ مَن عوتِبَ إلا أن قالَ: عِيالي[١].

وقالَ: يؤمَرُ بالرَّجلِ إلى النَّارِ يومَ القيامةِ فيقالُ: هذا عيالُه أكَلُوا حسَناتِه[٢].

ولَمَّا وليَ شريكٌ قضاءَ الكوفةِ هجرَه سُفيانُ، وقالَ: أيُّ رجلٍ أفسَدُوه! فقالَ شريكٌ: لو كان لسُفيانَ بناتٌ أفسَدُوهُ أكثرَ ممَّا أفسَدُوني[٣].

وقد[٤] يُستدَلُّ على فضلِ قلَّةِ العِيالِ بقولِه تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣] على تفسيرِ مَن فسَّرَه بكثرةِ العيالِ[٥]، ولكنِ الجمهورُ على تفسيرِه بالجورِ والحَيْفِ[٦]؛ فإنَّ ملكَ اليمينِ قد تكثرُ به الأولادُ أكثرَ مِن الزَّوجاتِ الأربعِ، فإنَّه لا يَنحصِرُ في عددٍ.

وكان الإمامُ أحمدُ يُنكِرُ على مَن كرِهَ كثرةَ الأزواجِ والعيالِ[٧]، ويستدلُّ بحالِ النَّبيِّ ﷺ وأصحابِه مِن كثرةِ أزواجِهم وعيالِهم، وبمثلِ قولِه: «تزوَّجُوا الوَدُودَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٨٠) وسفيان هو الثوري.

(٢) أخرجه ابن الجعد في «مسنده» (١٩٠٧) وابن أبي الدنيا في «النفقة على العيال» (٤٥١)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٩٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٨١).

(٣) نقله الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٢٣٩ ـ ط تدمري). وقد كان سفيان متزوجاً ومات له ولد في حياته. انظر: «الحلية» (٦/ ٣٨١).

(٤) في (ف): «ومما».

(٥) وهو المشهور عن الإمام الشافعي رحمه الله.

(٦) وهو قول ابن عباس والجمهور. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٣٧٥ ـ ٣٧٩).

(٧) انظر: «الورع» للإمام أحمد (ص: ١٢٤ ـ ١٢٧).

الولودَ، فإني أكاثرُ بكم الأمَمَ يومَ القيامةِ»[١]، ولكنَّه يأمرُ مع هذا بطلبِ الحلالِ والكسبِ والصَّبرِ على الفقرِ وإن شَقَّ.

فالإمامُ أحمدُ أَمَرَ بما جاءَ الأمرُ بهِ في الشَّرعِ، وسفيانُ نظرَ إلى قلَّةِ صبرِ النَّاسِ، و[٢]إلى ما يؤولُ إليه حالُهم عند كثرةِ عيالِهم مِن تركِ الورَعِ والتَّكسُّبِ مِن الوجوهِ المكروهةِ، وهذا هو الغالبُ على النَّاسِ لاسيَّما مع قلَّةِ العِلمِ والصَّبرِ، وأمَّا حالُ الصَّابرينَ على العيالِ المحافظينَ على الورَعِ معَهم فعزيزٌ جدًّا، كحالِ الفُضَيلِ لَمَّا دخلَ عليه الرَّشيدُ فأعطاهُ ألفَ دينارٍ، فأبى أن يأخُذَها، فخرَجَ عنهُ، فجاءَ إليه[٣] عيالُه فقالوا لهُ: لو قبِلْتَ هذا المالَ ففرَّجْتَ بهِ عنَّا[٤]، قال: مثَلي ومثَلُكم كمثلِ رجُلٍ[٥] كان لهم جملٌ يستَقُونَ[٦] عليه، فلمَّا كبِرَ نحَروهُ فأكَلوا لحمَهُ[٧].

وكان الإمامُ أحمدُ له عِيالٌ، وكان يومَ لا يكونُ عندَه شيءٌ يفرحُ بذلك[٨]، وقالَ: أسَرُّ أيَّامي إليَّ[٩] يومَ أُصبِحُ وليس عندِي شيءٌ، فجاءَه ولدٌ له صغيرٌ عقِبَ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٠٣٤٣) عن ابن سيرين مرسلًا. ولفظه: «السوداء الولود».

(٢) «و» سقطت من (ف).

(٣) في (ف): «بعض» وعليها علامة كأنها إلغاء.

(٤) في حاشية (ف) كتب أحدهم: «فافهم ترشد».

(٥) في حاشية (ت): «لعله قوم».

(٦) في حاشية (ت): «يَسْنون» نسخة.

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» في خبر طويل (٨/ ١٠٧)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٨٤١) (٨٤٢).

(٨) «بذلك» سقطت من (ف).

(٩) «إلي» سقطت من (ف).

هذا الكلامِ، وطلَبَ منه شيئاً، فقالَ له: ليسَ عندي أية قطعةٍ ولا عندي شيءٌ[١].

وأرسلَ يوماً إليه عيالُه يقولونَ له[٢]: ليس عندَنا اليومَ دقيقٌ أو قالوا خبزٌ، فقالَ لهم: السَّاعةَ، ثمَّ أبطأَ عليهم، فعاوَدُوهُ فقال: السَّاعةَ، فدقَّ عليه رجلٌ البابَ، فإذا هو رجلٌ مِن خُراسانَ قد أُرسلَ معَه إليه بخمسةِ آلافِ دِرهَمٍ، فأبى أن يأخذَها وردَّها[٣].

كان فتحٌ الموصليُّ يجمعُ عيالَه في ليالي الشِّتاءِ، ويمدُّ كساءَه عليهم ويقولُ: أجَعْتَني وأجعتَ عِيالي، وأعرَيْتَني وأعرَيْتَ عِيالي، فبأيِّ وسيلةٍ توسَّلتُ بها إليكَ حتَّى تفعلَ هذا بي، وإنَّما تفعلُ هذا بأوليائِك وأحبابِك، فهَل أنا منهم حتَّى أفرحَ[٤].

وعَرِيَت ابنةٌ له، فقيلَ له: لو طلبتَ مِن أحدٍ أن يَكسوَها، فقال: أدَعُها حتَّى يرَى اللهُ عُرِيَّها، وصَبري على ذلك[٥].

وجيءَ إلى عبدِ الصَّمدِ الزَّاهدِ بمالٍ، فأَبى أن يقبلَه، فقالوا له: تصدَّق بهِ، فقالَ لأصحابِه: مَن كانت له حاجةٌ إلى شيءٍ فليَأْخُذ، فتوزَّعَه أصحابُه بقدرِ حاجاتِهم، فجاءَ إليه بُنَيٌّ له صغيرٌ يبكي، فقالَ: أنا جائعٌ، فقالَ: اذهَبْ فخُذْ عليَّ مِن البقَّالِ ربعَ رطلِ تمرٍ[٦].

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٦٤ ـ ٣٦٥) و(ص: ٣٣٤).

(٢) «له» سقطت من (ت).

(٣) أخرجه مطولًا ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣١٩).

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٦١). وفي حاشية (ف): «مهم: نظر دقيق وسر عظيم».

(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٦١). وفي حاشية (ت): «وعَريت: بفتح العين قيده الجوباري». ومعنى عريت: لم يبق لها ثياب لفقرها.

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣١١)، وابن الجوزي في «القصاص والمذكرين» (١٦٠). وليس فيه ذكر البكاء والجوع.

إخواني! الطَّبعُ إلى التَّوسُّع في الدُّنيا يحِنُّ، والولدُ يطلبُ ما يشتهي، والزَّوجةُ تطلبُ سعةَ النَّفقةِ، والورعُ يمنعُ مِن التَّوسُّعِ، هنالك ابتُلِيَ المؤمنونَ وزُلزِلُوا زِلزالاً شَديداً.

كان[١] الإمامُ أحمدُ قدِ امتنعَ أن يأخذَ مِن الخليفةِ شَيئاً مِن مالِ بيتِ المالِ، واقتنعَ بكَرْيِ حوانيتَ له، كانت تغلُّ في الشَّهرِ عِشرينَ دِرهماً أو أقلَّ، فأخذَ أولادُه مِن الخليفةِ، فهجَرَهم لذلك[٢]، فكانت أمُّ ولدِه تُعاتِبُه، وتقولُ له[٣]: أنا معكَ في ضيقٍ وأولادُك يأكلونَ ويفعلونَ ويفعلونَ، فيقولُ لها: قولي خيراً، فخرجَ إليه صبيٌّ له صغيرٌ يبكي، فقالَ: أيَّ شيءٍ تريدُ؟ قال: زبيبٌ، قال: اذهَب فخُذ مِن البقَّالِ بحبَّةٍ[٤].

كم أحملُ في هواكَ كَلًّا وعَنَا ... كم أصبِرُ فيك تحتَ سُقْمٍ[٥] وضَنَا

لا تَطرُدْنِي فليس لي عنكَ غِنَى ... هذا حالي فإن رَحِمْتُم فأنا[٦]

غيره:

مِن أجلِ هواكُمُ هجَرْتُ[٧] الخَلْقا ... لم يُبقِ حقُّكُمُ لنفسي حَقَّا

---

(١) في (ف): «فإن كان»، والزيادة لعلها سبق قلم.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٥١٣ ـ ٥١٨)، وليس فيه ذكر الحوانيت.
وفي حاشية (ف): «ورع عظيم من إمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه نفعنا الله تعالى بشفاعته».

(٣) في (ت): «تقول».

(٤) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٣٢).

(٥) بين الأسطر في (ف) و(ت): «ضر».

(٦) ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٥٧) باختلاف طفيف.

(٧) في (ت): «جفوت» وفوقها بين الأسطر «هجرت».

فـي حُبِّكُـمُ يهـونُ مـا قـد ألـقى ما يسـعدُ بالنَّعيـمِ مَـن لا يَشْـقى[١]

وأيضًا: فكثرةُ العِيالِ ممَّا يُوجِبُ تعلُّقَ القلبِ بهم، فيَشْغَلُ ذلك عن محبَّتِه وخدمتِه للهِ، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

قال أبو حازمٍ: كلُّ ما شغلَكَ عنِ اللهِ مِن مالٍ أو ولدٍ فهو عليك مشؤومٌ[٢].

وقد روَى أبو نُعَيمٍ بإسنادٍ ضَعيفٍ، مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ مَرفوعاً: «إذا أحبَّ اللهُ عبداً اقتناه لنفسِه، ولم يشغَلْه بزَوجةٍ ولا ولَدٍ»[٣].

ومن كلامِ الشَّيخِ عبدِ القادرِ: وكم تقولُ كلُّ مَن أحبُّهُ لا يدومُ لي، بل يحالُ بيني وبينَه بموتٍ أو غيرِه، فيقالُ لك: يا محبوبَ الحقِّ، المعنيَّ به، المنظورَ إليه، المغارَ عليه، أما علِمْتَ أنَّ اللهَ غيورٌ، خلَقَكَ له، وتروُمُ أن تكونَ لغيرِه؟ أما سمِعتَ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وقولَه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقولَه ﷺ: «إذا أحبَّ اللهُ عَبْداً ابتلاهُ، فإذا صبرَ اقتناهُ فلم يذَرْ له مالاً ولا ولَداً»[٤]، انتهى.

---

(١) ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٥٨) باختلاف في البيت الأول.

(٢) هو من كلام أبي سليمان الداراني ـ ولم أقف عليه لأبي حازم ـ أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٢٧) (٣٣/ ٣٦٢)، وذكره المصنف عن أبي حازم في «لطائف المعارف» (ص: ١٥٣ الـسواس)، لكنه ذكره على الصواب عن أبي سليمان في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٩٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢٧٨).

(٤) «فتوح الغيب»، للشيخ عبد القادر الجيلاني (ص: ٥٤ ـ ٥٥).

والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٩٩) من حديث أبي عنبة الخولاني، =

ومِن هذا المعنى الأثرُ الإسرائيليُّ: يا ابنَ آدمَ! خلقتُ كلَّ شيءٍ لك، وخلقتُكَ لنفسِي فلا تشتغِلْ بما خلقتُه لك عما خلقتُكَ له[١].

وقد قيلَ[٢]: إنَّ إبراهيمَ الخليلَ عليهِ السَّلامُ إنَّما أُمِرَ بذبحِ ولدِه لتعلُّقِ قلبِه بهِ، فلما فرَّغَه منه وقدَّمَ محبَّةَ اللهِ على محبَّةِ ولدِه، وأسلَما وتلَّهُ للجبينِ، حصَلَ الفِداءُ بحُصولِ المقصودِ منه، وهو تفريغُ القلبِ، فلم يبقَ لإراقةِ الدَّمِ معنًى[٣]، وكذلك[٤] الخليلُ الأكبرُ لَمَّا اشتدَّتْ محبَّتُه لعائشةَ وقعَ تنغيصُها عليهِ بما جرى مِن حديثِ الإفكِ.

كان بعضُ العارفينَ له زوجةٌ، هيَ ابنةُ عمِّه، وكان يحبُّها حبًّا شديداً، فقالَ لنفسِه يوماً: كيف ألقى اللهَ بهذا الحالِ؟ فسألَ اللهَ، فمَرِضَت ثلاثةَ أيَّامٍ، ثمَّ ماتَت، فخرجَ مِن فَورِه إلى مكَّةَ[٥].

مرَّ بعضُ الفُقراءِ بامرأةٍ فأعجبَتْه، فتزوَّجَها، فلمَّا دخلَ بها البيتَ نزَعوا خُلْقانَه وألبَسوهُ ثِياباً جدُداً، فلمَّا جنَّ عليه الليلُ طلبَ قلبَه فلم يَجِده، فصاحَ: خُلْقاني خُلْقاني، فأخذَها ورجَعَ[٦].

نقِّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ مِن الهوَى ... ما الحبُّ إلَّا للحَبيبِ الأوَّلِ

---

= ولفظه: «إذا أراد الله عز وجل بعبده خيراً ابتلاه، فإذا ابتلاه اقتناه» قالوا: يا رسول الله وما اقتناه؟ قال: «لا يترك له مالاً ولا ولداً».

(١) لم أجده إلا في كلام للإمام ابن تيمية رحمه الله «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٣).

(٢) في حاشية (ف): «عِبْرة».

(٣) لعله مستفاد من كلام ابن القيم شيخ المصنف رحمهما الله في «مدارج السالكين» (٣/ ٤٠١).

(٤) في حاشية (ف): «قف».

(٥) في حاشية (ف): «عجيبة»، والقصة لم أهتد إلى مصدرها.

(٦) ذكرها ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٢٣١).

كم منـــزلٍ للمَـــرءِ[١] يألَفُـــه الفَتى وحـنـيـنُـــه أبـــــداً لأوَّلِ مَنزلِ[٢]

دخَلوا على أبي سليمانَ الدَّارانيِّ بيتَه، فقالَ بعضُهم: ما أحوَجَه إلى زوجةٍ تُؤنِسُه، فقال: لا آنسَني اللهُ إلَّا بهِ أبَداً[٣].

كان إبراهيمُ بنُ أدهمَ قد خرجَ مِن أهلِه وولَدِه وحشَمِه، وأقامَ في بلادِ الغُربةِ، فحجَّ مرَّةً، فرأَى ولدَه وحشَمَه في الطَّوافِ، فجعلَ يُسارِقُهم النَّظرَ ويبكي، فأُخبِرَ ولدُه بهِ، فجاءَ إليه فاعتنقَه وبكى، ثمَّ صرَفَه وودَّعَه، وأنشدَ[٤]:

هجَـرتُ الخلقَ طُرًّا فـي هواكَا وأيـتَـمْـــتُ العِـيالَ لكَيْ أراكَا

فلَـوْ قطَّعْتَنـي فـي الحُبِّ إرْبـاً لَمَا حـنَّ الفـؤادُ إلى سِـواكَا[٥]

**قولُه: «ذو حظٍّ مِن الصَّلاةِ».**

يشـيرُ إلـى أنَّ المؤمـنَ الخفِـيَّ التَّقِـيَّ لا بـدَّ أن يكـونَ لـه نصيـبٌ مِـن التَّنفُّـلِ بالصَّـلاةِ، يكـونُ[٦] هـو لذَّتُـه وقُوتُه وغـذاؤُه، كمـا قـالَ ﷺ: «جُعِلَت قـرَّةُ عيني في الصَّـلاةِ» خرَّجَـه النَّسـائيُّ[٧].

---

(١) في حاشية (ف): «في القلب».

(٢) لأبي تمام. انظر: «أخبار أبي تمام» للصولي (ص: ٤٠).

(٣) أورده الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٠١ ـ ط دار المعرفة)، وذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٣٤)، وفي «استنشاق نسيم الأنس» الباب السادس.

(٤) زاد في (ف): «بعضهم»، وهو سبق قلم.

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٦). وجاء في (ف): «ولو قطعتني..».

(٦) في (ف): «فيكون».

(٧) من حديث أنس رضي الله عنه (٣٩٤٠) (٣٩٣٩)، وفي «الكبرى» (٨٨٣٦) (٨٨٣٧).

وفي «سننِ أبي داودَ» عنه ﷺ أنَّه قالَ: «يا بلالُ! أقِم الصَّلاةَ وأرِحْنا بها»[١].

وفي «المسند» عنِ ابنِ عبَّاسٍ قال: قالَ جبريلُ للنَّبيِّ ﷺ: يا محمَّدُ! إنَّ اللهَ قد حبَّبَ إليك الصَّلاةَ، فخُذ منها ما شئتَ[٢].

وفي «مسندِ» البزَّارِ والطَّبرانيِّ، عن أنسٍ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا أعجَبَه نحوُ الرَّجُلِ أمَرَه بالصَّلاةِ[٣].

وقال ثابتٌ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يشبعُ مِن الصَّلاةِ[٤].

وفي روايةٍ عن أنسٍ أنَّه ﷺ قال: «الجائعُ يشبعُ، والظَّمْآن يَرْوَى، وأنا لا أشبعُ مِن حبِّ الصَّلاةِ» خرَّجَه عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ في «الزهد»[٥].

وعن أبي هريرةَ قالَ: كان داودُ عليهِ السَّلامُ كثيرَ الصَّلاةِ لا يَفتُرُ[٦].

وكان ثابتٌ البُنانيُّ لا يقدِرُ أن يفترَ[٧] مِن الصَّلاةِ حبًّا لها، وكان يقومُ الليلَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٦) من حديث رجل من خزاعة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٥) (٢٣٠١).

(٣) مداره على يحيى بن عباد، عن محمد بن عثمان الأنصاري الواسطي، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه.
روي عن يحيى من أربعة أوجه: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٨٠)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٢٩١٣)، وأخرجه البزار (٦٩٣٩)، وأخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (١٣٣٢)، وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٧)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٣) عن الطبراني، والخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥). «نحو الرجل»: هَدْيُه وسَمْتُه.

(٤) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٧٧) مرسلًا.

(٥) ليس في المطبوع من «الزهد»، وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٤٨٨)، وهو في «الفردوس» (٢٦٢٢).

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٧٦).

(٧) في (ف): «يقر» تصحيف.

أربعينَ سنةً، ويدعو في السَّحَرِ: اللهمَّ إن كنتَ أذِنْتَ لأحدٍ مِن خلقِكَ أن يُصلِّيَ في قبرِه فاجعَلْني مِنهم، فلمَّا ماتَ وسُوِّيَ اللبنُ على لَحدِه سقطَتْ مِنه لَبِنةٌ، فنظرُوا إليه قائماً يُصلِّي في قبرِه[١].

كان محمَّدُ بنُ النَّضرِ الحارثيُّ لا يَفتُرُ مِن الصَّلاةِ، فكان إذا خرجَ حاجًّا فنزلَ النَّاسُ قامَ يُصلِّي، ثمَّ إذا قَرُبَ ارتحالُهم تقدَّمَ على رأسِ ميلٍ يُصلِّي حتَّى يدركه الإبلُ، فإذا أدركَتْهُ تقدَّمَ عليها يُصلِّي حتَّى تلحقَه، فلا يزالُ كذلك حتَّى يُصلِّي العصرَ، ثمَّ يركبُ في وقتِ النَّهيِ عنِ الصَّلاةِ[٢].

وكان كُرْزُ بنُ وَبَرةَ لا يَفتُرُ عنِ الصَّلاةِ، وكانَ إذا حَجَّ ونزَلَ النَّاسُ مَنزِلاً تَوارى عنِ النَّاسِ يُصلِّي في مَوضعٍ لا يرَوْنَه، فإذا سمِعَ حركةَ النَّاسِ للسَّيرِ جاءَ إلى رُفقتِه، فاحتبسَ عنهم يَوْماً عندَ الرَّحيلِ، فطلبَه بعضُ رُفقتِه فوجدَه قائماً يُصلِّي في يومٍ شديدِ الحرِّ وغمامَةٌ تُظِلُّه، فاجتهدَ بهِ حتَّى حلفَ له أنْ لا يُخبِرَ بمَا رأى منه أحداً حتَّى يموتَ[٣].

كم أكتُمُ حبَّكُم عنِ الأغيَارِ ... والوجدُ يُذيعُ في الهَوى أسْرارِي
كم أستُرُكمْ هتَكْتُمُ أستارِي ... مَن يُخفِي في الهوَى لهيبَ النَّارِ[٤]

قولُه: «أحسَنَ عبادةَ ربِّه».

إحسانُ العبادةِ إتقانُها وإكمالُها، والإتيانُ بها على أكملِ الوُجوهِ، والحاملُ

---

(١) أخرج ذلك أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣١٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢١٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٠).

(٤) ذكرهما المصنف رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص: ٢٥٣).

على ذلك: أن يَعبُدَ العبدُ ربَّه كأنَّه يراهُ، كما فسَّرَ النَّبيُّ ﷺ الإحسانَ بذلك[١]، وكان يقولُ في دُعائِه: «أسألُكَ شُكرَ نعمتِكَ[٢]، وحُسنَ عبادتِك»[٣].

وعلَّمَ معاذَ بنَ جبَلٍ أن يقولَ: «اللهمَّ أعنِّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عبادتِك»[٤].

**قولُه: «وأطاعه في السرِّ».**

طاعةُ العبدِ لربِّهِ في السِّرِّ دليلٌ على قوَّةِ إيمانِه وإخلاصِه لربِّه، وكان النَّبيُّ ﷺ يسألُ ربَّهُ خشيتَه في السِّرِّ والعَلانيَةِ[٥].

وأفضلُ النَّوافلِ إسرارُها، ولذلك فُضِّلَت صلاةُ اللَّيلِ على نوافلِ الصَّلاةِ، وفُضِّلَت صدقةُ السِّرِّ على صدقةِ العَلانيَةِ. وفي الحديثِ: «الجاهرُ بالقرآنِ كالجاهرِ بالصَّدقةِ، والمُسِرُّ بالقُرآنِ كالمُسِرِّ بالصَّدَقةِ»[٦].

قال بعضُ السَّلفُ: ما أعتدُّ بما ظهرَ مِن عمَلي[٧].

---

(١) في حديث جبريل المشهور.

(٢) في (ت): «نعمك».

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٧١١٤) (١٧١٣٣)، والترمذي (٣٤٠٧) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٢١١٩)، وأبو داود (١٥١٧)، والنسائي (١٣٠٣)، وفي «الكبرى» (٩٨٥٧).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٢٥)، والنسائي (١٣٠٦) من حديث عمار بن ياسر.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٧٣٦٨)، وأبو دواد (١٣٢٧)، والنسائي (٢٥٦١)، والترمذي (٢٩١٩) وقال: حسن غريب. وهو من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٧) أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٢٦٤)، والغزالي في «الإحياء» (٤/ ٣٨٦) من كلام سفيان الثوري.

وحبُّ الإسرارِ بالطَّاعةِ مِن علاماتِ المُحبِّينَ لِمَولاهُم. قالَ مخلدُ بنُ الحُسَينِ: ما أحبَّ اللهَ عبدٌ فأحبَّ أن يَعرِفَ النَّاسُ مكانَه[١].

وقال أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ: مَن عبَدَ اللهَ على المحبَّةِ لا يحبُّ أن يُرِي خِدمتَه سوَى مَحبوبِه[٢].

واطُّلِعَ على بعضِ أسرارِ المحبِّينَ مع اللهِ، فعلِمَ بذلك فدَعا لنفسِه بالموتِ، وقالَ: إنَّما كانتِ المعاملةُ تطيبُ حيثُ كانت سِرًّا بيني وبينَه، فماتَ[٣].

سُئِلَ بعضُهم عن شيءٍ مِن أسرارِه مع مولاهُ، فأنشدَ:

مَن سارَرُوهُ فأبدَى السِّرَّ مُجتهِدًا ... لم يأمَنُوه على الأسرارِ ما عاشَا

وجانبُوهُ فلم يظفَرْ بوُدِّهِمُ ... وأبدلُوهُ مِن الإيناسِ إيحاشَا

لا يصطَفونَ مُذِيعاً بعضَ سرِّهِم ... حاشَا وِدادَهمُ مِن ذاكُمُ حاشَا[٤]

المُحِبُّونَ يغارونَ على الأسرارِ مِن اطِّلاعِ الأغيَارِ.

نسيمَ صبا نجْدٍ متَى جئتَ حامِلًا ... تحيَّتَهم فاطوِ الحديثَ عنِ الرَّكبِ

ولا تُذِعِ السِّرَّ المصونَ فإنَّنِي ... أغارُ على ذكرِ الأحبَّةِ مِن صَحْبي[٥]

---

(١) أخرجه ابن العديم في «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٣/ ٥١٨) من طريق ابن أبي الدنيا.

(٢) كتب أحدهم في حاشية (ت): «قف على إسرار الطاعة خير». والأثر أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٢).

(٣) ورد في قصة طويلة أخرجها الدينوري في «المجالسة» (٢٩٩٢) عن ابن المبارك، ذكر هذا فيها عن عبد أسود كان بمكة رضي الله عنه، وذكر المصنف ما هُنا أيضاً في «لطائف المعارف» (ص: ٢٩٠).

(٤) السائل هو ذو النون رحمه الله تعالى لشاب متعبد. أخرجه الخطيب البغدادي في «الزهد» (٥٠).

(٥) ذكرهما المصنف رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص: ٢٩٠).

قولُه: «وكان غامِضاً في النَّاسِ لا يشارُ إليه بالأصابعِ» يدلُّ على فضلِ العبدِ التَّقيِّ الخفِيِّ.

وفي حديثِ سعدٍ، عن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ يحبُّ العبدَ الغنيَّ التَّقيَّ الخفِيَّ»(١).

وفي حديثِه أيضاً: «خيرُ الرِّزقِ ما يكفي، وخيرُ الذِّكرِ الخَفِيُّ»(٢).

وفي حديثِ معاذٍ المرفوعِ: «إنَّ اللهَ يحِبُّ الأبرارَ الأتقِيَاءَ الأخفِيَاءَ، الذين إذا غابوا لم يُفتَقَدوا، وإن حضَروا لم يُدْعَوا ولم يُعرَفُوا، مصابيحُ الهُدَى يخرُجونَ مِن كلِّ غبراءَ مُظلِمَةٍ» خرَّجَه ابنُ ماجَه(٣).

وخرَّجَ مِن حديثِه مرفوعاً أيضاً: «ألا أُخبِرُكم عن ملوكِ الجنَّةِ؟» قلتُ: بلى، قالَ: «رجلٌ ضعيفٌ مُستضعَفٌ ذو طِمرَيْنِ، لا يؤبَه له، لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه»(٤).

وفي حديثٍ آخرَ: «ربَّ أشعَثَ أغبرَ ذي طِمْرينِ، مَدفوعٍ بالأبوابِ لو أقسمَ على اللهِ لَأبرَّهُ»(٥).

قال ابنُ مَسعودٍ: كونوا ينابيعَ العلمِ، مصابيحَ الظَّلامِ، جُدُدَ القُلوبِ، خُلْقانَ الثِّيابِ، تُعْرَفُونَ في أهلِ السَّماءِ وتخفَوْنَ على أهلِ الأرضِ(٦).

---

(١) أخرجه البزار (١١٨٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٤٧٧) (١٤٧٨) (١٥٥٩) (١٥٦٠) (١٦٢٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١١٥).

(٥) أخرجه أبو عوانة (١٢٤٥١) من حديث أبي هريرة، وأصله في «صحيح مسلم» (٢٨٥٤) دون قوله «أغبر ذي طمرين».

(٦) أخرجه الدارمي (٢٦٢)، وغيره.

كان قاسمٌ الجوعيُّ يقولُ لأصحابِه: اغتنِموا مِن زمانِكم خمساً: إن حضَرْتُم لم تُعرَفوا، وإن غِبتُم لم تُفتقدوا[١]، وإن شَهِدتُم لم تُشاوَرُوا، وإن قُلتم شيئًا لم يُقبَل قَولُكم، وإن عَمِلتُم شيئًا لم تُعطَوا به، وأوصيكُم بخمسٍ أيضاً: إن ظُلِمْتم لم تَظلِمُوا، وإن مُدِحْتم لم تفرَحوا، وإن ذُمِمتم لم تَجزَعوا، وإن كُذِّبْتم فلا تغضَبوا، وإن خانوكُم فلا تخونوا[٢].

طوبى لعبدٍ بحَبلِ اللهِ مُعتصِمِ ... على صِراطٍ سَوِيٍّ ثابتٍ قدَمُهْ

رثِّ اللِّباسِ جَديدِ القَلبِ مُستَتِرٍ ... في الأرضِ مُشتَهِرٌ فوقَ السَّماءِ سِمُهْ

ما زالَ يحتقِرُ الأولى بهِمَّتِه ... حتى ترقَّتْ إلى الأُخرَى بهِ هِمَمُهْ

فذاكَ أعظَمُ مِن ذي التَّاجِ مُتَّكِئاً ... على النَّمارِقِ مُحتَفًّا بهِ خدَمُهْ[٣]

ما زالَ الصَّادقونَ مِن العُلَماءِ والصَّالحينَ يكرهونَ الشُّهرةَ ويتَباعدونَ عَن أسبابِها، ويُحِبُّونَ الخُمولَ ويَجتهِدُونَ على حُصولِه.

وقال بعضُهم: ما اتَّقَى اللهَ مَن أحبَّ الشُّهرةَ[٤].

وكان أيُّوبُ السَّختيانيُّ يقولُ: ما صدَقَ عبدٌ إلَّا أحبَّ أن لا يُشعَرَ بمكانِه[٥].

---

(١) في (ف): «تفقدوا».

(٢) في حاشية (ت): «الأمر والنهي لعشر خصال». أخرجه ابن حمكان في «الفوائد والأخبار» (١٠)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ١٢٠) وهي فائدة ابن أبي حاتم من دمشق، سمعه من الجوعي.

(٣) الأبيات في «مقامات الزمخشري» (ص: ٣٦).

(٤) من كلام بشر الحافي رحمه الله أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٤٦).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٣٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٦).

ولمَّا اشتهَرَ بالبصرةِ كان إذا خرجَ إلى موضعٍ يتحرَّى المشيَ في الطُّرقاتِ الخاليةِ، ويجتنبُ سُلوكَ الأسواقِ والمواضعِ التي يُعرَفُ فيها[١].

وكان سُفيانُ الثَّوريُّ لَمَّا اشتَهرَ يقولُ: وَدِدتُ أنَّ يَدِي قُطِعت مِن إبطي وأنِّي لم أشتهِرْ ولم أُعرَف[٢].

ولمَّا اشتهرَ ذِكرُ الإمامِ أحمدَ، اشتدَّ غمُّهُ وحُزنُه، وكَثُرَ لُزومُه لِمَنزِلِه، وقلَّ خُروجُه في الجنائزِ وغيرِها خشيةَ اجتماعِ النَّاسِ عليه، وكان يقولُ: طوبى لِمَن أخملَ اللهُ ذِكرَه.

وكان يقولُ: لو قدرتُ على الخُروجِ مِن هذه المدينةِ ـ يعني بغدادَ ـ لَفعلتُ، حتَّى لا أُذكرَ عند هؤلاءِ ـ يعني الملوكَ ـ فكان إذا مَشى معَه أحدٌ مِن أقاربِه يعرفُه النَّاسُ أبعدَه عنه لئلَّا يُعرَفَ بهِ، وكان لا يدَعُ أحداً يمشي معَه في طريقٍ ولا يتبعه، فإنْ تبعَه أحدٌ وقفَ حتَّى ينصرِفَ الذي معَه[٣].

وكان ابنُ مَسعودٍ يقولُ لِمَن تبِعَه: لو تعلمونَ ما أُغلِقُ عليه بابي لم يَتبعْني منكم أحدٌ[٤].

ورأى عمرُ قوماً يتبعونَ رجُلاً، فعَلَاهم بالدِّرَّةِ[٥].

---

(١) أخرج هذا المعنى أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦).

(٢) الذي وقفت عليه، أنه قال: «وددت أن يدي قطعت ولم أكتب الحديث»، (صيد الخاطر، لابن الجوزي (ص: ٥٧)، ومثله أخبار عدة في «شرف أصحاب الحديث». ولم أجد ما أورده المصنف رحمه الله. وفي حاشية (ف): «ذم الشهرة».

(٣) هذه الأخبار أخرجها ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٧٥ ـ ٣٧٧). وجاء في حاشية (ت): «المشي مع الرجل في الطرقات»، وفي حاشية (ف): «مدح الخمول».

(٤) أخرجه الدارمي (٥٤٩).

(٥) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (١٦٠٥).

وقالَ: إنَّ خفقَ النِّعالِ خلفَ الأحمَقِ قلَّ ما يُبقِي مِن دينِه[١].

مشى قومٌ مع مَعروفٍ إلى بيتِه، فلمَّا دخلَ قال لهم: مَشْيُنا هذا كان يَنبغي لنا أن نتَّقِيَه، أليسَ جاءَ في الخبرِ: إنَّه فِتنةٌ للمَتبوعِ مذلَّةٌ للتَّابعِ[٢]؟.

وكان بعضُ العُلماءِ في مجلسِه، فقامَ فاتبعَه جماعةٌ، فأعجبَه ذلك، فرأَى تلك اللَّيلةَ في منامِه قائلاً يقولُ: سيَعلَمُ مَن يحبُّ أن يُمشَى خلفَه غداً.

ورُئِيَ سفيانُ في النَّومِ بعدَ موتِه، فقيلَ له: ما فعلَ اللهُ بك؟ قالَ: غفرَ لي، قيلَ لهُ: هل رأيتَ شيئاً تكرَهُه؟ قالَ: نَعَمْ، الإشارَةُ بالأصابعِ، يعني قولَ النَّاسِ: هذا سفيانُ[٣].

الإشارةُ إلى الرَّجُلِ بالأصابعِ فِتنةٌ، وإن كان في الخيرِ[٤].

وفي الحديثِ: «كفى بالمرءِ شرًّا أن يُشارَ إليه بالأصابعِ في دينِه أو دُنياه إلَّا مَن عصَمَه اللهُ»[٥].

كان بعضُ التَّابعينَ إذا جلسَ إليه أكثرُ مِن ثلاثةِ أنفُسٍ قامَ خوفَ الشُّهرةِ[٦].

---

(١) في حاشية (ت): «قف على فعل سيدنا عمر رضي الله عنه في نهيه عن المشي خلف الرجل». والأثر أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٢)، وليس فيه ذكر الدرة.

(٢) معروف هو الكرخي رحمه الله، والخبر في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٥).

(٣) في (ت) تكررت: «هذا سفيان». والخبر في «الحلية» لأبي نعيم (٦/ ٣٨٥).

(٤) في حاشية (ت): «قف الإشارة بالأصابع فتنة على الرجل».

(٥) أخرجه بنحوه الطبراني في «الكبير» ١٨ (٥٦٧)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٧)، والبيهقي من حديث عمران بن حصين مرفوعاً. وأخرجه بمثل اللفظ هنا أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٣٢) من كلام إبراهيم والحسن.

(٦) هو أبو العالية رحمه الله تعالى. أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٤٧).

وكان علقمةُ يُكثِرُ الجُلوسَ في بيتِه، فقيلَ له: ألَا تخرجُ فتُحدِّثُ النَّاسَ؟ فقالَ: أكرَه أن يوطأَ عقِبي، ويقال: هذا علقمةُ، هذا علقمةُ[١].

كان كثيرٌ مِن الصَّادقينَ مِن السَّلَفِ يجتنبُ لباسَ الثِّيابِ التي يُظنُّ بأصحابِها الخيرُ، إبعاداً لهذا الظَّنِّ عن أنفسِهم[٢].

وكان ابنُ مُحَيْرِيزٍ يدعو فيقولُ: اللهمَّ إنِّي أسْألُك ذِكرًا خامِلًا[٣].

وقال مُطرِّفٌ: انظرُوا قوماً إذا ذُكِروا ذُكِرُوا بالقراءةِ، فلا تكونوا مِنهم، وانظُروا قَوْماً إذا ذُكِرُوا ذُكِرُوا بالفُجورِ، فلا تكونوا مِنهم وكونوا بينَ ذلك[٤].

وهذا هو الذِّكرُ الخفيُّ المشارُ إليه في حديثِ سعدٍ، وهو مِن أعظمِ نعمِ اللهِ على عبدِه المؤمنِ الذي رزَقَه نَصيباً مِن ذوقِ الإيمانِ، فهو يَعيشُ بهِ مع ربِّه عَيْشاً طَيِّباً، ويحجبُه عن خلقِه حتَّى لا يُفسِدُوا عليه حالَه مع ربِّه، فهذه هي الغنيمةُ الباردةُ، فمَن عرفَ قدرَها وشكَرَ عليها فقد تمَّتْ عليه النِّعمةُ.

وقد وردَ في بعضِ الآثارِ: أنَّ العبدَ يُسألُ عن شُكرِ هذه النِّعمةِ يومَ القيامةِ[٥].

---

(١) أخرجه أبو خيثمة في «العلم» (٢٤)، والدارمي (٥٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٠٠) وغيرهما.

(٢) فكان أيوب يطيل قميصه، وقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنها اليوم في تشميره. انظر: «المجالسة» للدينوري (١٩١٩).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٨)، والدولابي في «الكنى» (١٧٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٤٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ١٨).

(٤) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٢١٦٦).

(٥) هل يقصد: «الذكر نعمة من الله فأدوا شكرها»؟ من نسخة نبيط بن شريط الموضوعة.

توارَيْتُ مِن دَهْرِي بظِلِّ جَناحِه فعَيْني ترَى دَهْرِي وليسَ يراني

فلو تسألُ الأيامُ ما اسمِيَ ما درَتْ وأينَ مَكاني ما عرفنَ مَكاني[1]

كم بين حالِ هؤلاءِ الصَّادقينَ وبين مَن يَسْعى في ظهور نفسه[2] بكلِّ طريقٍ باستجلابِ قُلوبِ المُلوكِ وغيرِهم، لكن إذا حقَّتِ الحَقائقُ تبيَّنَ الخالصُ مِن البَهْرَجِ:

إذا اشتبكَتْ دموعٌ في خُدودٍ تبيَّنَ مَن بكَى ممَّنْ تَباكَى[3]

رائحةُ الإخلاصِ كرائحةِ البَخورِ الخالصِ، كلَّما قَوِيَ سترُه بالثِّيابِ فاحَ وعبقَ بها، ورائحةُ الرِّياءِ كدُخانِ الحطَبِ يعلو إلى الجوِّ ثمَّ يَضمحِلُّ، وتبقى رائحتُه الكَريهةُ[4].

كلَّما بَلِيَت أجسامُ الصَّادقينَ في التُّرابِ فاحَتْ رائحةُ صِدقِهم فاستنشقَها الخلقُ.

كم اجتهدَ المُخلِصونَ في إخفاءِ أحوالِهم عنِ الخلقِ، وريحُ الصِّدقِ تنمُّ عليهم، كم يقولُ لسانُ الصَّادقِ: لا لا، وحالُه يُنادي: نعَم نعَم، ولسانُ الكاذبِ يقولُ: نعم نعم، وحالُه ينادي عليهِ: لا لا[5].

كم اجتهدَ الإمامُ أحمدُ على أن لا يُذكَرَ، وأبى اللهُ إلَّا أن يشهرَه، ويقرنَ الإمامةَ

---

(١) البيتان لأبي نواس، ذكرهما المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح الكافي» (ص: ٢٣٤).

(٢) في (ف): «ظهوره».

(٣) من قصيدة للمتنبي، وهي في «ديوانه بشرح العكبري» (٢/ ٣٨٥ ـ ٣٩٧).

(٤) في حاشية (ف): «مدح الإخلاص» ثم «ذم الرياء».

(٥) في حاشية (ف): «لطيف».

باسمِه على ألسنةِ الخلقِ، شاؤوا أم[١] أبَوْا، وكانَ في زَمانِه مَن يُعطِي الأموالَ لِمَن يُنادي باسمِه في الأسواقِ ليَشتهِرَ، فما ذُكِرَ بعدَ ذلك ولا عُرِفَ.

خمولُ المحبِّينَ لِمَولاهم شُهرةٌ، وذُلُّهم بين يديهِ عِزٌّ، وفقرُهم[٢] إليه الغِنى الأكبرُ.

تذلُّلُ أربابِ الهوَى في الهوَى عِزٌّ ... وفَقرُهُمُ نحوَ الحبيبِ هوَ الكنزُ

وسَترُهم فيه السَّرائرَ شهرةٌ ... وغيرُ تَلافِ النَّفسِ فيهِ هوَ العَجزُ[٣]

**قولُه: «وكان رِزقُه كَفافًا فصبرَ على ذلك».**

هذا خيرُ الرِّزقِ كما سبقَ في[٤] حديثِ: «خيرُ الرِّزقِ ما يكفي».

وفي الصَّحيحِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقولُ: «اللهمَّ اجعَل رزقَ آلِ محمَّدٍ قُوتاً»[٥].

وقد فسَّرَ طائفةٌ مِن المفسّرينَ قولَه تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١] بهذا، وقالوا: المرادُ رزقُ يومٍ بيومٍ[٦].

في «صحيح مسلم» عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «قد أفلحَ مَن هُدِيَ إلى الإسلامِ، وكان عيشُه كَفافاً، وقنعهُ اللهُ به»[٧].

---

(١) في (ف): «أو».

(٢) في (ف): «وفقر».

(٣) ذكرهما المصنف رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص: ٣٠٢).

(٤) «في» سقطت من (ف).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥) واللفظ له من حديث أبي هريرة.

(٦) ذُكر هذا عن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب «الورع» (٤٠٨).

(٧) أخرجه مسلم (١٠٥٤)، لكن لفظ مسلم: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه». واللفظ الذي أورده المصنف هو أشبه بحديث فضالة بن عبيد الآتي.

وخرَّجَ التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ مِن حديثِ فضالةَ بنِ عُبَيدٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «طوبى لِمَن هُدِيَ للإسلامِ، وكان عيشُه كفَافاً، وقنعَ»(١).

وفي «المسند» و«سننِ ابنِ ماجَه» عن أنسٍ مرفوعاً: «ما مِن غنيٍّ ولا فقيرٍ إلا ودَّ يومَ القيامةِ أنَّه أوتيَ قُوتاً»(٢).

وفي «الترمذيِّ» عن أبي أمامةَ مرفوعاً: «عرضَ عليَّ ربِّي أن يجعلَ لي بطحاءَ مكَّةَ ذهَباً، فقلتُ: لا يا ربِّ، ولكن أجوعُ يوماً وأشبعُ يوماً، فإذا جعتُ تضرَّعتُ إليكَ ودَعوتُكَ، وإذا شبِعْتُ حمدتُك وشكرتُكَ»(٣).

وفي «سننِ ابنِ ماجَه»: أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعثَ إلى رجلٍ يَستمنِحُه ناقةً، فردَّهُ، ثمَّ بعثَ إلى آخرَ، فبعثَ إليه بناقةٍ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «اللهمَّ أكثِرْ مالَ فلانٍ ـ للمانعِ الأوَّلِ ـ واجعَلْ رزقَ فلانٍ يوماً بيومٍ ـ للذي بعث بالنَّاقةِ ـ»(٤).

وخرَّجَ ابنُ أبي الدُّنيا مِن حديثِ أبي هريرةَ مرفوعاً: «اللهمَّ مَن أحبَّني فارزُقْه العفافَ والكفافَ، ومَن أبغضَني فأكثِرْ مالَه وولدَه»(٥).

وفي التِّرمذيِّ وابنِ ماجَه عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «مَن أصبحَ مِنكم آمِناً في سربِه، مُعافًى في بدنِه، عنده قوتُ يومِه فكأنَّما حِيزَت له الدُّنيا»(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٩)، وقال: صحيح، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٢١٦٣) (١٢٧١٠)، وابن ماجه (٤١٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧)، وقال حسن.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١٣٤) من حديث نُقادة رضي الله عنه. وفي حاشية (ف): «عجيب».

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٢٩٨٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ١١٥).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١) من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن غريب. في (ف) بين الأسطر عند: «حيزت»: «جُمِعت».

وخرَّجَه الطَّبَرانيُّ وزادَ في أوَّلِه: «ابنَ آدمَ! عندكَ ما يكفيكَ، وأنتَ تطلبُ ما يُطغيكَ، لا بقليلٍ تقنَعُ، ولا مِن كثيرٍ تشبعُ» وزادَ في آخرِه: «فعَلى الدُّنيا العَفا»[١].

وقال عمرُ: كونوا أوعيةَ الكتابِ[٢]، ينابيعَ للعلمِ، وسَلُوا اللهَ رزقَ يومٍ بيَومٍ، وعُدُّوا أنفسَكُم في الموتى، ولا يضرُّكُم أن لا يكثرَ لكم[٣].

والكفافُ مِن الرِّزقِ: هو ما ليس فيه فضلٌ، بل يَكتفي به صاحبُه مِن غيرِ فضلٍ.

وجاءَ مِن حديثِ ابنِ عبَّاسٍ مَرفوعاً: «إنَّما يكفي أحدكَم ما قنعَتْ به نفسُه» خرَّجَه ابنُ أبي الدُّنيا[٤].

والمرادُ: أنَّ مَن اكتفَى مَن الدُّنيا باليَسيرِ، وقنعَتْ به نفسُه، فقد كفَاه ذلك واستَغْنى بهِ وإن كان يَسيراً.

قال أبو حازمٍ: إن كان يُغنيكَ ما يَكفيكَ فإنَّ أَدْنى ما في الدُّنيا يكفيكَ، وإن كانَ لا يغنيكَ ما يكفيكَ فليسَ في الدُّنيا شيءٌ يَكفيكَ[٥].

قال بكرٌ المُزَنيُّ: يكفيكَ مِن الدُّنيا ما قنعْتَ به، ولو كفَّ تمرٍ وشربةَ ماءٍ[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٨٧٥) من حديث عمر رضي الله عنه. في (ف): «العفا»: «التراب».

(٢) في (ت): «للكتاب».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٦٣٢)، وفي «العلل» (٤٧١٩)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥١) من كلام عمر رضي الله عنه. وفي «الحلية» (٧/ ٢٧٤) من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام. وفي حاشية (ف): «لطيف».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١١٨).

(٥) أخرجه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ٣٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٣٢).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (٢٣٧).

وقال الإمامُ أحمدُ: قليلُ الدُّنيا يكفي، وكثيرُها[١] ما يكفي[٢]. يعني أنَّ مَن اكتفَى مِن الدُّنيا كفاهُ مِنها القليلُ، ومَن لم يكتفِ لم يكفِه الكثيرُ، كما قالَ بعضُهُم:

حقيقٌ بالتَّواضُعِ مَن يموتُ ... ويكفي المرءَ مِن دُنياهُ قوتُ[٣]

وقال آخرُ:

يكفي الفَتى خَلَقٌ وقُوتُ ... ما أكثرَ القُوتَ لِمَن يَمُوتُ[٤]

وقد مُدِحَ في هذا الحديثِ مَن صبرَ على كفافِ عيشِه وقنعَ به، فأمَّا الرَّاضي بذلك فهو أعْلَى مَنزلةً مِن الصَّابرِ القانعِ، وقد قيلَ: إنَّ الفقيرَ الرَّاضيَ أفضلُ مِن الفقيرِ الصَّابرِ والغنيِّ الشَّاكرِ بالاتِّفاقِ.

وفي الحديثِ أنَّه عليه السَّلامُ كان يقولُ في دُعائِه: «رضِّني بما قسمتَ لي»[٥].

وفي حديثٍ آخرَ: «إذا أرادَ بعبدِه خيراً رضَّاهُ بما قسمَ له، وباركَ له فيهِ»[٦].

---

(١) في (ف): «وكثير».

(٢) في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٢٣): «قليل الدنيا يجزي وكثيرها لا يجزي».

(٣) أنشده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥٢٨) لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) نسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، أنشده البيهقي في «الزهد الكبير» (١٠٨)، وأوله عنده: «حَسبك من دهرك هذا القوت».

(٥) أخرج البزار (٥٣٨٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوَه، ولفظه: «... ورضاً من المعيشة بما قسمت لي». أما اللفظ الذي أورده المصنف، فأخرجه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٢٦٢) من حديث بريدة بن الحصيب عن النبي ﷺ حاكياً عن آدم عليه السلام دعاءه عند البيت العتيق. ومنه هذا الدعاء.

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (زيادات رواية نعيم) (ص: ٣٢)، وابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٥٥) عن أبي العلاء بن الشخير مرفوعاً.

إذا رضيتَ بمَيْسورٍ مِن القُوتِ أصبحتَ في النَّاسِ حُرًّا غيرَ ممْقوتِ

يا قوتَ نفسِي إذا ما تمَّ عفوُكَ لي[١] فلستُ آسَى على دُرٍّ وياقوتِ[٢]

قولُه: «عجلتْ منيَّتُه، قلَّتْ بواكيهِ، قلَّ تُراثُه».

يعني أنه يعجَّلُ له الموتُ على هذه الصِّفةِ، وهي أن يكونَ مَن يبكي عليهِ قليلاً، وذلك لقلَّةِ عيالِه كما سبقَ، وأن يكونَ تراثُه قليلاً، ويعني بتُراثِه: ميراثَه[٣] الذي يخلفُه مِن الدُّنيا، وبذلك فسَّرَه الإمامُ أحمدُ وغيرُه[٤].

وهذا الكلامُ يحتمِلُ أن يكونَ إخباراً عن حالِ هذا المؤمنِ، ويحتملُ أن يكون دُعاءً له مِن النَّبيِّ ﷺ، فاقتضى هذا الكلامُ أنَّ المؤمنَ إذا كان على حالةٍ حسَنةٍ مِن حُسنِ عبادةٍ وخمولٍ وقناعةٍ باليسيرِ فإنَّه يُغبَطُ بتَعجيلِ[٥] موتِه على هذه الحالةِ، خشيةَ أن يُفتنَ في دينِه، ويتغيَّرَ عمَّا هو عليه، ولهذا المعنى شُرِعَ تمنِّي الموتِ وطلبُه خشيةَ الفِتنةِ في الدِّينِ.

وفي «المسند» مرفوعاً: «لا يتَمنَّيَنَّ الموتَ إلَّا مَن وثقَ بعملِه»[٦]، فمَن كان على حالةٍ حسَنةٍ في دينِه فإنه يُغبَطُ بموتِه قبلَ تغيُّرِ حالِه.

---

(١) في حاشية (ف) و(ت): «لطفك بي» نسخة.

(٢) البيتان لأبي الفتح البستي، نسبهما له سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (١٧/ ٤٥٦) وفيهما بعض اختلاف عما هنا.

(٣) «ميراثه» سقطت من (ف).

(٤) مسند الإمام أحمد، عقب الحديث (٢٢١٩٧).

(٥) في (ت): «بتعجل».

(٦) وقع في النسختين: «وثق به بعمله»! وهو غلط، والحديث أخرجه الإمام أحمد (٨٦٠٧) بأطول مما هنا.

كان أبو الدَّرداءِ إذا ماتَ الرَّجلُ على الحالةِ الصَّالحةِ قال: هنيئاً لكَ، يا ليتَني كنتُ[١] مكانَكَ، فقالت له أمُّ الدَّرداءِ في ذلك، فقال: هل تعلمينَ يا حمقاءُ أنَّ الرَّجُلَ يُصبِحُ مؤمِناً ويُمسي مُنافِقاً، يُسلَبُ إيمانَه وهو لا يشعرُ؟! فأنا لهذا الميِّتِ أغبَطُ منِّي لهذا بالبقاءِ في الصَّلاةِ والصَّومِ[٢].

وقيل: ما تحبُّ لِمَن تحبُّ؟ قال: الموتَ، قيل له: فإن لم يَمُت؟ قال: قلَّةَ المالِ والولَدِ[٣].

وكان ابنُ مَسعودٍ يتمنَّى الموتَ، فقيلَ له؟ فقالَ: لو أنِّي أعلمُ أنِّي أبقى على ما أنا عليهِ لتمنَّيْتُ البقاءَ عِشرينَ سنَةً[٤].

ورأى أبو هريرةَ شباباً يتعبَّدونَ فقالَ: ليت الموتَ ذهبَ بهؤلاءِ[٥].

وكان داودُ الطَّائيُّ يبكي ويقولُ: أخافُ أن يَطولَ عمُرِي[٦].

وسببُ هذا: أنَّ مَن أطاعَ اللهَ أحبَّ لقاءَه، كما قالَ الصِّدِّيقُ في وصيَّتِه لعُمرَ: إن أنتَ حفِظْتَ وصيَّتِي لم يكن غائبٌ أحبَّ إليك مِن الموتِ، ولا بدَّ لك مِنه[٧].

---

(١) «كنت» سقطت من (ف).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٩٦)، والفريابي في «صفة المنافقين» (١٠٧) (١٠٨).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٩٧٧)، وسائر أصحاب كتب الزهد.

(٤) أخرجه بنحوه: ابن الجعد في «مسنده» (٨٩).

(٥) يعني قبل أن يفتتنوا بالدنيا. نسبه الغزي في «حسن التنبه لما ورد في التشبه» (١٠/ ٢٧٤) لعبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» ولم أجده في المطبوع منه.

(٦) وهو بمعنى ما رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٣٦) أن داود كان يقول: «سبقني العابدون، وقطع بي، والهفاه».

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٢١١).

وإلى هذا الإشارةُ بقولِه تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]، وقولِه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦]. «ومَن أرادَ اللهُ بهِ خيْراً عسَلَه، فاستعملَه بعملٍ صالحٍ قبلَ موتِه، فيقبضُه عليهِ»(١)، «إنَّما الأعمالُ بالخَواتيمِ»(٢).

وقولُه: «قلَّتْ بَواكيهِ».

لَمَّا كان هذا المؤمنُ خفيفَ الحاذِ قليلَ العيالِ لم يكُن له عند الموتِ كبيرُ أحَدٍ يبكي عليه، بخلافِ مَن له أهلٌ وولَدٌ وخدَمٌ وحشَمٌ وعشيرةٌ، فإنَّه تكثرُ بواكيهِ مع قلَّةِ غِناهم عنه، بل يزيدُ بكاؤُهم في عذابِه كما في الصَّحيحِ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ الميِّتَ ليُعذَّبُ ببُكاءِ أهلِه عليه»(٣)، فإنَّهم كثيراً ما يفعلونَ ما لا يجوزُ مِن النِّياحةِ واللَّطمِ وتَخريقِ الثِّيابِ وإتلافِ الأموالِ والتَّسخُّطِ لقضاءِ اللهِ، وذلك كلُّه يُعذَّبُ بهِ الميِّتُ ويتألَّمُ به، ولهذا أوصى(٤) كثيرٌ مِن السَّلَفِ أهلَهم أن لا يبكونَ عليهم»(٥).

لَمَّا احتُضِرَ هشامُ بنُ عبدِ الملكِ أحدُ خلفاءِ بني أميَّةَ بكى أهلُه، فقالَ لهم: جادَ عليكم هشامٌ بالدُّنيا وجُدْتُم عليه بالبكاءِ؟! تركَ لكم ما جمعَ وتركتُم عليه ما حمَلَ؟! ما أعظمَ مُنقلَبَ هشامٍ إن لم يُغفَرْ له(٦).

---

(١) هو حديث أبي عنبة الخولاني، أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٧٨٤)، وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٦)، ومسلم (٩٢٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) في (ت): «وصى».

(٥) كذا في النسخ، والوجه: «أن لا يبكوا عليهم».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٩٤).

وقالَ الحسَنُ: شرُّ النَّاسِ لِمَيِّتٍ: أهلُه يبكونَ عليه ولا يقضونَ دَيْنَه[١]. فهم يفعلونَ معَه ما يضرُّه ولا يفعلونَ ما ينفعُه في قبرِه، وأكثرُ مَن يبكي على الميِّتِ عند موتِه: إنَّما يبكي لفقدِ حظِّه منه، إمَّا مِن نفعِه الحاصلِ له بهِ مِن مالٍ أو غيرِه، أو لفقدِه الأُنْسَ به ونحوِ ذلك مِن حُظوظِ الباكينَ، ولا يبكونَ رحمةً لِمَا هو فيهِ، وبكاءُ الرَّحمةِ هو بكاءُ العارفينَ دونَ بُكاءِ الحُزنِ، كما قالَ النَّبيُّ ﷺ لَمَّا بكَى: «إنَّما هذه رحمةٌ، وإنَّما يرحمُ اللهُ مِن عبادِه الرُّحماءَ»[٢].

احتُضِرَ بعضُ الصَّالحينَ، فبكى أبواهُ وولدُه وأهلُه وصِبيانُه، فسألَهم: ما الذي أبكاهم؟ قال أبواه: نبكي لفراقِكَ وما نتعجَّلُ مِن الوحشةِ بعدكَ، وقال ولدُه: نبكي لفراقِكَ[٣] وما نتعجَّلُ مِن اليُتمِ بعدَك، فقالَ: كلُّكُم يبكي لدُنيايَ، أمَا فيكم مَن يبكي لآخرَتي؟ أمَا فيكم مَن يَبكي لِمَا يَلقى في التُّرابِ وَجهي؟ أمَا فيكم مَن يَبكي لِمُسائلةِ مُنكَرٍ ونَكيرٍ؟ أمَا فيكم مَن يبكي لوُقوفي بين يدَيْ ربِّي؟ ثمَّ صرخَ صرخَةً فماتَ رحمَه الله[٤]. فمَن قلَّتْ بواكيهِ كان ذلك أقربَ إلى رحمتِه.

وقد روَى صالحٌ المُرِّيُّ عن الحسنِ قال: إنَّ اللهَ إذا توفَّى المؤمنَ ببلادِ غُربةٍ لم يعذبْه رحمةً لغُربتِه، وأمرَ الملائكةَ فبَكَتْه لغيبةِ بواكيهِ عنه[٥].

---

(١) في حاشية (ت): «قف على: أشر الناس من يبكي على ميته ولا يقضي عليه دينه». والأثر أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٣) في (ت): «على فراقك».

(٤) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٦) عن عابد بالبصرة.

(٥) عزاه السيوطي في «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» (١٥) إلى ابن أبي الدنيا، ولم أقف عليه في كتبه.

وفي الحديثِ: إنَّ مَن ماتَ في غيرِ مولدِه قيسَ له إلى مُنتهى أثرِه في الجنَّةِ[١].

وقد تبكي السَّماءُ والأرضُ على المؤمنِ لفقدِ عملِه الصَّالحِ، وقد قالَ طائفةٌ مِن السَّلفِ في قولِه: عزَّ وجلَّ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩] قالوا: إنَّ السَّماءَ والأرضَ تبكي على المؤمنِ[٢]، فقالَ عليٌّ: يبكي على المؤمنِ مُصلَّاهُ الذي كان يُصلِّي فيه مِن الأرضِ، وبابُه الذي كان يصعدُ فيه قولُه وعمَلُه، ولم يكن ذلك لآلِ فِرعونَ، فلذلك لم تبكِ عليهم السَّماءُ والأرضُ[٣].

وقيل إنَّ في التَّوراةِ: أنَّ الأرضَ تبكي على المؤمنِ أربعينَ صَباحاً[٤]، فكلَّما قلَّتْ بواكي الميِّتِ المؤمنِ مِن بني آدمَ كان أقربَ إلى بُكاءِ غيرِهم عليه.

وقد سُمِعَ نياحةُ الجنِّ وبكاؤهُم على جماعةٍ مِن سلَفِ الأمَّةِ، منهم عمرُ بنُ الخطَّابِ[٥]، والحُسَينُ بن عليٍّ[٦]، وعمرُ بن عبدِ العزيزِ[٧] رضيَ اللهُ عنهم.

كان للمأمونِ ولدٌ يُسمَّى عليًّا، وكان شديدَ التَّرفِ، فألقى اللهُ في قلبِه الزُّهدَ في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٥٦)، والنسائي (١٨٣٢)، وابن ماجه (١٦١٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وما هنا ليس باللفظ، ولفظ أحمد: «إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة».

(٢) انظر الآثار في ذلك في «الدر المنثور» للسيوطي، في تفسير الآية من سورة الدخان.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما عزاه إليه ابن كثير في تفسير الآية، وابن المبارك في «الزهد» (٣٣٦)، وأبو داود في «الزهد» (١٠٧)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٣٠٥).

(٤) وروي ذلك عن مجاهد عن ابن عباس، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٨) وغيره.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٦١).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١١٥).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٣٢).

الدُّنيا، فهرَبَ مِن أبيهِ، وخرجَ إلى البصرةِ، وتنكَّرَ ولبِسَ الخشِنَ، وكان يصومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيلَ، ويحمِلُ على رأسِه للنَّاسِ بالأجرةِ ما يتقوَّتُ بهِ، ويبيتُ في المساجدِ يتخلَّلُها حتَّى لا يفطنَ بهِ، فمَرِضَ في بعضِ المساجدِ، فلمَّا اشتدَّ مرضُه دخلَ خاناً بالبصرةِ، فاكترى فيه بيتاً وألقى نفسَه على باريَّةٍ، فلمَّا آيسَ مِن نفسِه دعا صاحبَ الخانِ، فناولَه خاتَمه ورقعةً مختومةً، فقالَ له: إذا مُتُّ فاخرُجْ إلى صاحبِكُم ـ يعني الأميرَ بالبصرةِ[1] ـ فأرِهِ خاتَمي وعرِّفْه مَوضِعي وناوِلْه هذه الرُّقعةَ، فلمَّا ماتَ خرجَ الرَّجلُ إلى بابِ الأميرِ فنادى[2] النَّصيحةَ، فأدخلَه فأراهُ الخاتمَ، فلمَّا نظرَ إليهِ عرَفَه فقالَ: ويلَكَ أين صاحبُ هذا الخاتَمِ؟ قالَ: في الخانِ ميِّتٌ، وناولَه الرُّقعةَ مختومةً مكتوبٌ عليها: لا يفكُّها إلا المأمونُ أميرُ المؤمنينَ، فأرسلَهُ الأميرُ ميْتًا في دِجلةَ إلى المأمونِ، وكتبَ إليه يُعرِّفُه قصَّتَه وأنَّه وجدَه في غرفةٍ على باريَّةٍ في بعضِ الخاناتِ، ما تحتَه مِهادٌ ولا عنده باكِيةٌ، مُسجًّى مغمضَ العينينِ مُستنيرَ الوَجهِ طيِّبَ الرَّائحةِ، وبعثَ معَه الخاتمَ والرُّقعةَ، ففكَّها المأمونُ فإذا فيها: يا أميرَ المؤمنينَ، اقرأْ سورةَ الفجرِ إلى قولِه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٣٤] فاعتبِرْ بها، واعلَمْ أنَّ اللهَ مع الذينَ اتَّقَوْا والذين هم مُحسِنونَ[3].

---

(١) في (ت): «أمير البصرة».

(٢) تصحفت في (ف) إلى: «فأدى».

(٣) أخرجها بطولها: ابن قدامة المقدسي في «التوابين» (ص: ١٧٤ ـ ١٨٢). الباريَة: الحصير.

وفي حاشية (ت): «قف على حكاية ولد المأمون وما وصى والده به». وفي حاشية (ف): «ومثل هذه الحكاية وقع لولد الرشيد كما في «سير السالك» يقال له: أحمد السبتي». اهـ.

قلت: قيل له السبتي لأنه كان يكتسب يوم السبت ما ينفق منه بقية الأسبوع كما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ١٦٨).

قولُه: «قلَّ تُراثُه»:

فسَّرَه الإمامُ أحمدُ وغيرُه بقلَّةِ[١] ميراثِه بعدَ موتِه[٢]، يعني أنَّ ما يخلِّفُ مِن الدُّنيا بعدَه يكونُ قليلاً نَزْراً يسيراً، هذه سنَّةُ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ، كما في حديثِ أبي الدَّرداءِ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دِيناراً ولا دِرهماً وإنَّما ورَّثُوا العلمَ، فمَنْ أخذَهُ أخذَ بحَظٍّ وافرٍ»[٣].

والنَّبيُّ ﷺ لم يُخلِّفْ إلا آلاتِ الجِهادِ.

ففي الصَّحيحِ عنه أنَّه لم يُخلِّفْ إلَّا سِلاحَه وبغلتَه وأرْضاً جعَلَها صدَقةً[٤].

ولمَّا احتُضِرَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ قالَ لعائشةَ رضيَ اللهُ عنها: يا بُنيَّةُ! إنَّا وَلِينا أمرَ المسلمينَ فلَمْ نأخُذْ لهم دِيناراً ولا دِرهماً، ولكنَّا أكَلْنا مِن جَريشِ طعامِهم في بُطونِنا، ولبِسْنا مِن خشِنِ ثِيابِهم على ظُهورِنا، وإنَّه لم يبقَ عندنا مِن مالِ المسلمينَ قليلٌ ولا كثيرٌ إلَّا هذا العبدَ الحبشيَّ وهذا البعيرَ النَّاضحَ، وجَرْدَ هذه القطيفةِ، فإذا متُّ فابعثي بهنَّ إلى عمرَ. فلمَّا جاءَ الرَّسولُ إلى عمرَ بذلك بكى عمرُ وقالَ: رحمَ اللهَ أبا بكرٍ، لقد أتعبَ مَن بعدَه[٥].

ولمَّا احتُضِرَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ قالَ: لا تتَّهِموا الخازنَ فإنِّي لا أدعُ إلَّا إحدى

---

(١) «بقلة»: سقط من (ف).

(٢) كما في «المسند» عقب الحديث (٢٢١٩٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٣٦)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٤) أخرجه البخاري في مواضع منها (٢٧٣٩) (٢٨٧٣) من حديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٧٩). جَرد القطيفة: الثوب الذي لان قماشه، وذهبت نضارته.

وعشرينَ ديناراً[١]، وصَّى منها بوفاءِ دُيونٍ، فلم يبقِ لورَثتِه سِوى أربعةَ عشرَ ديناراً[٢]، هذا وجميعُ مملكةِ الإسلامِ تحت يدَيْهِ.

ودخَلوا عليه في مرَضِ موتِه وعليه قميصٌ قدِ اتَّسخَ جيبُه وتخرَّقَ فقالَ مسلَمةُ ابنُ عبدِ الملكِ لأختِه وهي زوجةُ عمرَ: ناوِليني قميصاً سِوى هذا حتى يَلبَسَه أميرُ المؤمنينَ؛ فإنَّ النَّاسَ يَدخلونَ عليه، فقال عمرُ: دعْها يا مَسلمةُ، فما أمسى ولا أصبحَ لأميرِ المؤمنينَ ثوبٌ سِوى الذي ترَى عليه[٣].

وكان يحيى بنُ أبي كثيرٍ مِن العُلَماءِ الرَّبَّانيِّينَ، وكانَ حسَنَ اللِّباسِ حسنَ الهيئةِ، فماتَ ولم يُخلِّفْ سوى ثلاثينَ دِرهماً كفَّنوهُ بها[٤].

وكان الأوزاعيُّ قد وصلَ إليه في حَياتِه مِن مُلوكِ بني أميَّةَ وبني العبَّاسِ أكثرُ مِن سبعينَ ألفَ دينارٍ، فأنفقَها كلَّها في سبيلِ اللهِ وفي الفقراءِ، فماتَ ولم يُخلِّفْ سوى سبعةِ دنانيرَ[٥].

وماتَ الإمامُ أحمدُ ولم يُخلِّفْ سِوى قِطَعاً في خرقةٍ له[٦] كان وزنُها دونَ نصفِ درهمٍ[٧]، وتركَ دَيْناً عليه وُفِّيَ مِن أجرةِ عقارٍ خلَّفَه[٨].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٣٤).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٧).

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ١٩٨).

(٦) «له» سقطت من (ف).

(٧) وهي ست قطع أو سبع. أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٥٦٤).

(٨) انظر: «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص: ٣٠٦). و(ص: ٥٠٠).

وكان محمَّدُ بنُ أسلمَ الطُّوسيُّ مِن العلماءِ الرَّبَّانيِّينَ، فماتَ ولم يُخلِّفْ سوَى كِسائِه وإناءٍ لوُضوئِه فتصدَّقوا بهِ[١].

ووصَّى معروفٌ أن يُتصدَّقَ عندَ موتِه بقميصِه الذي عليهِ، وقالَ: أُحِبُّ أن أخرُجَ مِن الدُّنيا عُرياناً[٢] كما دخلتُ إليها عُرياناً[٣].

وقالَ سُفيانُ: يُعجِبُني أن يموتَ الرَّجلُ ولا يُخلِّفَ كفَناً[٤].

ماتَ بعضُ الفقراءِ ولم يُخلِّفْ كفَناً، فقالت له زوجتُه: تُفتضَحُ إذا لم تُخلِّفْ كفَناً، فقالَ: لو خلَّفْتُ كفَناً لافتُضِحْتُ[٥].

قال يحيى بنُ مُعاذٍ: لا تكُن ممَّنْ يفضَحُه في الدُّنيا مِيراثُه وفي الآخرةِ ميزانُه[٦].

لابنِ آدمَ في مالِه عند مماتِه مُصيبتانِ عَظيمتانِ: يُسلَبُه كلَّه، ويُسأَلُ عنه كلِّه[٧].

فهو حينئذٍ يجمعُ لِمَن لا يَحمدُه، ويَقدَمُ على مَن لا يَعذرُه[٨].

يا نفسُ توبي فإنَّ الموتَ قد حانا ... واعصِي الهوَى فالهوَى ما زالَ فتَّانا

أمَا ترَيْنَ المنايا كيفَ تلقطُنا ... لقْطاً وتُلحِقُ أُخرانا بأُولانا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٤١).

(٢) «عرياناً» سقطت من (ف).

(٣) أخرج ذلك عن معروف الكرخي رحمه الله: أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٢).

(٤) لم أجده إلا عند الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٥/ ٩١) مهملًا دون إسناد.

(٥) هو عبد الرزاق الغزنوي الصوفي، المتوفى سنة (٤٩٣) رحمه الله تعالى. ذكر ذلك ابن كثير في «البداية والنهاية» في وفيات تلك السنة.

(٦) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٦٠٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٦٣).

(٧) من كلام يحيى بن معاذ الرازي. أخرجه الخطيب في «الزهد والرقائق» (١١).

(٨) مقتبس من كلام بكر بن عبد الله، وهو في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٨).

فـــي كلِّ يـــومٍ لنـــا مَيْـــتٌ نُشيِّعُه ... نـــرى بمَصرعِـــه آثـــارَ مَوْتانـــا
يـــا نفـــسُ مالـــي وللأَمـــوالِ أترُكُهـــا ... خَلْفـــي وأخـــرُجُ مِـــن دُنيـــايَ عُريانـــا
أبعـــدَ خمســـينَ قـــد قضَّيْتِهـــا لعِبـــاً ... قـــد آنَ أنْ تُقصِـــري قـــد آنَ قـــدْ آنـــا
مـــا بالنـــا نتعامَـــى عـــن مَصائِرِنـــا ... ننْســـى بغفلتِنـــا مَـــن ليـــسَ يَنســـانا
نـــزدادُ حِرصًـــا وهـــذا الدَّهـــرُ يَزجرُنـــا ... كأنَّ زاجرَنـــا بالحـــرصِ أغرانـــا
أيـــنَ الملـــوكُ وأبنـــاءُ الملـــوكِ ومَـــن ... كانـــتْ تخِـــرُّ لـــه الأذقـــانُ إذعانـــا
صاحَتْ بـهـم حادثاتُ الدَّهرِ فانقلَبوا ... مُســتبــدلـينَ مِـن الأوطانِ أوطـانا
خلَّـــوا مَدائـــنَ كان العـــزُّ مفرشَـــها ... واستفرَشـــوا حُفَـــراً غُبـــرًا وقِيعانـــا
يـا راكِضـاً فـي ميادِيـن الهـوَى مَرِحـاً ... ورافِـلاً فـي ثيـابِ الغـيِّ نَشـوانَا
مضـى الزَّمـانُ وولَّـى العمرُ فـي لعِبٍ ... يكفيكَ مـا قد مَضى قـد كانَ ما كانا[1]

تم[2].

آخـرُه، والحمدُ للهِ وحـدَه، وصلَّى الله على سـيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه وصَحبِه وسـلَّمَ تَسليماً كثيراً[3]

* * *

(١) الأبيات في «المدهش» لابن الجوزي (ص: ٣٧٥).

(٢) «تم» من (ف).

(٣) في (ت): «أبداً». وفي حاشيتها: «بلغ مقابلة بحمد الله تعالى وعونه».